الفصل الأول

الدبلوماسية السعودية وبناء الوحدة السياسية في الدولة السعودية الأولى والثانية

- ميثاق الدرعية وبداية التكوين السياسي للدولة السعودية.
- نشأة الدبلوماسية السعودية من خلال البعوث والرسائل.
- الأسس الإسلامية أهداف ومميزات الدبلوماسية السعودية.

obeikandl.com

ميثاق الدرعية وبداية التكوين السياسي للدولة السعودية

obeikandl.com

obeikandl.com

ميثاق الدرعية، وبداية التكوين السياسي للدولة السعودية:

كان انتقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب من العيينة إلى الدرعية نقطة تحول في تاريخ الدعوة، وفي حياة نجد الدينية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، كما يعتبر من الأحداث المهمة التي غيرت وجه التاريخ العام للمنطقة.

وإذا ما قورنت الدرعية بالبلدان الأخرى التي حولها، فإنها تعد مركزا أساسياً لاستقلال صاحبها بالحكم فيها، وعدم وجود سيطرة خارجية عليه، ولأنه يؤمن بالدعوة، ويعتقد أن ما جاءت به هو الحق، كما كانت الدرعية بيئة صالحة لنشر الدعوة، لاستتباب القوة الداخلية فيها[1].

ولم يكن عثمان بن معمر حاكم العيينة آنذاك قد وفق للمحافظة على مبدئه الذي عاهد عليه الشيخ، والتضحية بصداقته لعريعر ابن دجين حاكم الأحساء في سبيل استمرار هذا العهد، حيث فضل عريعر على الشيخ، عسى أن يناله شيء من مصالح مادية، أو لعله يتجنب ما قد يتعرض له من تنكيل أو منابذة وربما إهانة، مفضلاً بذلك الدنيا على الآخرة.. فقد أفضى إلى الشيخ بأن يغادر العيينة حتى تزول عنه غضبة عريعر بن دجين، وقد استجاب الشيخ لهذا المطلب الصعب، واتجه إلى الدرعية، وذلك لأنه يوجد بها عدد من الأنصار، والأعوان، الذين يكاتبون الشيخ ويأتون إليه ويلبون دعوته، ومنهم الأخوان ثنيان

(1) عبدالله بن يوسف الشبل: الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، حياته ودعوته، (الطبعة الأولى، الرياض، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رجب 1399هـ)، ص46.

صورة لمكتب آثار الدرعية وهو من البيوت القديمة في ذلك الوقت

ومشاري أبناء سعود وابنه عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وآل سويلم. مع معرفته التامة بعدل أمير الدرعية الأمير محمد بن سعود، واستقامته، وتحكيمه لكتاب الله الكريم والسنة النبوية المطهرة.

وكانت الدرعية على جانب كبير من القوة والمنعة والاستقلال، وكان العداء بين أميرها، وبين عريعر بن دجين أمير الاحساء وشيخ بني خالد انذاك قائما، منذ أن صدت قوات عريعر هجمة قام بها سعدون ابن محمد رئيس بني خالد على الأحساء سنة 1139هـ، وكان لديه تفكير في مهاجمة العيينة، كما أن أميرها كان خير معين لدهام بن دواس في توطيد حكمه بالرياض، وإذن فالبواعث التي جعلت محمد ابن سعود يستقبل الشيخ محمد هي أن عريعراً كان طرفاً في إخراجه من العيينة[1].

وصل الشيخ إلى الدرعية في أواخر عام 1157هـ، فنزل عند عبدالله بن عبدالرحمن بن سويلم، فلما دخل الشيخ على بن سويلم ضاقت عليه داره، خوفا على نفسه من الأمير محمد بن سعود، أمير الدرعية، لكن الشيخ سكن جأشه، وقال له: سيجعل الله لنا ولكم فرجاً ومخرجاً، فعلم بوجوده بعض الخاصة من أهل الدرعية، فزاروه خفية، فقرر لهم التوحيد، فأرادوا أن يخبروا الأمير محمد بن سعود، ويشيروا عليه بنزوله عنده ونصرته، فهابوه، وأتوا إلى دار زوجة الأمير موضي بنت أبي وهطان من آل كثير، وأخيه ثنيان الضرير (كفيف

(1) عبدالله بن محمد بن خميس: الدرعية العاصمة الأولى، الرياض، ط1، مطابع الفرزدق التجارية 1402هـ/1982م، ص110.

البصر)، وكانت المرأة ذات عقل ودين ومعرفة، فأخبروهما بمكان الشيخ وصفة ما يأمر به وينهى عنه، فوقر في وجدانهما معرفة التوحيد، وقذف الله في قلبيهما محبة الشيخ، فلمادخل الأمير محمد ابن سعود على زوجته. أخبرته بمكان الشيخ وقالت له: إن هذا الرجل ساقه الله إليك، وهو غنيمة، فاغتنم ما خصك الله به، فقبل قولها، ثم دخل عليه أخوه ثنيان، وأخوه مشاري، وأشاروا عليه بمساعدته ونصرته، فقذف الله في قلب الأمير محمد محبة الشيخ، ومحبة ما يدعو إليه، فقالوا سِر إليه برجلك، وأظهر تعظيمه وتوقيره، ليسلم من أذى الناس، ويعلموا أنه عندك مكرم. ونظرا لما كان يتمتع به الأمير محمد من فضل وعلم ودين فإنه سُرّ لذلك، وظهرت البهجة على محيّاه وانشرح صدره لما سمعه، وسار إلى الشيخ محمد ابن عبدالوهاب. ودخل عليه في بيت ابن سويلم، فرحب به، ودارت بينهما بعض الأحاديث ومما قاله الأمير للشيخ «أبشر ببلاد خير من بلادك، وبالعز والمنعة». فقال له الشيخ: «وأنا أبشرك بالعز والتمكين، والنصر المبين، وهذه كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) التي دعت إليها الرسل أجمعون فمن تمسك بها وعمل بها ونصرها مَلَكَ بها البلاد والعباد، وأنت ترى نجد كلها وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل والفرقة والاختلاف، والقتال لبعضهم، فأرجو أن تكون إماماً يجتمع عليه المسلمون، وذريتك من بعدك»، وجعل يشرح له الإسلام، وشرائعه، وما يحل وما يحرم، وما عمله النبي ﷺ وأصحابه في سبيل الدعوة إلى التوحيد، والقتال عليه ونصرته. فشرح الله صدر الأمير

محمد بن سعود لذلك، وطلب من الشيخ المبايعة على ذلك، فبايع الشيخ الأمير محمد بن سعود على نصرة الدعوة، وأن الدم بالدم والهدم بالهدم، وعلى ألا يرغب الشيخ عنه إن أظهره الله، إلا أن الأمير محمد بن سعود شرط في مبايعته للشيخ ألا يعترضه فيما يأخذه من أهل الدرعية، مثل الذي يأخذه رؤساء البلدان على رعاياهم، فأجابه الشيخ إلى ذلك، رجاء أن يخلف الله عليه من الرزق أكثر من ذلك فيتركه رغبة فيما عند الله سبحانه، ثم صار الأمر كذلك، فلقد وسع الله عليه بأسرع ما يكون[1].

وقد بقي الشيخ ـ رحمه الله ـ سنتين في الدرعية، ينصح الناس ويهديهم إلى سبيل الحق، وخلالهما قدم إليه أنصاره من العيينة، حين علموا أن الشيخ استقر في الدرعية ومُنع ونُصر، فكثر تلاميذه وأنصاره، وعلت سمعة الدرعية كمركز للدولة والدعوة، وأخذ الأمير محمد بن سعود في توفير الحماية والعيش الرغيد لسكان الدرعية والبلدان التي انضمت إليها، كما أخذ الشيخ في تخصيص الدروس لتلاميذه، والإجابة عن الاستفسارات الدينية التي توجه إليه من أهالي الدرعية ومن خارجها. فانتعشت الحياة الاقتصادية في الدرعية، نظراً لكثرة الوافدين، ووفرة المؤن التي يجلبها أصحاب المزارع والحرف لبيعها في الدرعية، وهذا كله فضل من الله.

(1) عثمان بن عبدالله بن بشر: (مخطوطة، دارة الملك عبدالعزيز، الرقم 366) ورقة 14، يمكن الرجوع لها في الملحقات.

صورة تبين أحد الشوارع الرئيسية بالدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى

فلما علم عثمان بن معمر أمير العيينة بما لقيه الشيخ محمد ابن عبدالوهاب في الدرعية ندم على ما فعل من إخراج الشيخ، وعدم قدرته على نصرته، فركب في عدد من رجال العيينة ورؤسائها، وقدم على الشيخ في الدرعية، وطلب منه الرجوع معه، ووعده بالنصر والمنعة، فقال الشيخ: «ليس هذا إليّ، إنما هو إلى الأمير محمد ابن سعود، فإن أراد أن أذهب معك ذهبت، وإن أراد أن أقيم عنده أقمت، ولا أستبدل برجل تلقاني بالقبول غيره» فأتى عثمان إلى الأمير محمد بن سعود فأبى عليه[1].

ولما استوطن الشيخ الدرعية، أمر أهلها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم معنى لا إله إلا الله، ومعرفة ثلاثة أصول هي: معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة الإسلام.

فلما استقرت في نفوسهم معرفة التوحيد بعد الجهالة، أنزل الله في قلوبهم محبة الشيخ، وأحبوا من يأتي إليه، وآثروهم على أنفسهم في المسكن والمأكل[2].

وبعد أن استقر أمر الدعوة في الدرعية بتوحيد الله، ونبذ البدع والخرافات انتقل الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الخطوة الثانية، وهي الخروج بالدعوة إلى خارج الدرعية، حتى تعم الفائدة.

(1) حسين بن غنام: تاريخ نجد، تحقيق ناصر الدين الأسد، (ط2، بيروت، دار الشروق، 1405هـ/1985م)، ص88.

(2) عثمان بن عبدالله بن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد، (مطبوعات وزارة المعارف السعودية)، ج1، ص24 ـ 25.

ولذلك قام الإمام محمد بن سعود بمكاتبة أهل البلدان المجاورة ورؤسائهم وقضاتهم وطلبة العلم منهم، وشرح لهم في تلك الرسائل حقيقة الدعوة الإصلاحية، وما يجب أن يكون عليه المسلم.

فمنهم من قبل واتبع الحق، ومنهم من اتخذها سخرية واستهزأوا بالشيخ ونسبوه إلى الجهل وعدم المعرفة، ومنهم من نسبه إلى السحر، ومنهم من رماه بأشياء هو برئ منها.

ونظراً لأن مثل هذه الأمور لا يمكن السكوت عليها، أو التهاون فيها لأنها أمور تهم العقيدة بالدرجة الأولى، لأن دعوة كهذه يجب ألا تكون محصورة داخل حدود الدرعية، بل يجب أن تنتشر، لذلك أمر الشيخ بمحاربة الخارجين عن هدي الإسلام، وقد نجحت قوات الدولة السعودية في إخضاع الخارجين عن مبادئ الدعوة سلماً أو حرباً، فكانت الأخماس والزكاة وما يجيء إلى الدرعية من الغنائم تدفع إلى بيت المال، ولا يأخذ الإمام من ذلك شيئاً إلا بأمر الشيخ الذي كان بيده الحل والعقد في الأمور الشرعية وكذلك في الأخذ والعطاء، والتقديم والتأخير، كما أنه كان لا يركب جيش، ولا يصدر رأي من الإمام محمد وابنه الأمير عبدالعزيز إلا بالتنسيق مع الشيخ، رعاية لمصلحة المسلمين فيما حث عليه شرع الله العظيم[1].

وفي هذه الأثناء توفي الإمام محمد بن سعود عام 1179هـ بعد أن شاهد ثمار جهوده السياسية والدينية تبرز للعيان، فخلفه ابنه الإمام

(1) ابن بشر: المصدر السابق، ج1، ص25.

عبدالعزيز الذي اتسعت الدولة السعودية في عهده اتساعاً كبيراً، وانتشرت الدعوة إلى مناطق داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها، فتم في عهده ضم الرياض والأحساء والقصيم والحجاز. وكان الشيخ محمد بن عبدالوهاب السند الكبير له بعد الله، في تصحيح العقيدة، والعمل على تحكيم كتاب الله وسنة نبيه المطهرة، فانتشر العدل، وأمنت السبل، وانقاد كل صعب من باد وحاضر لأمر الشرع الحنيف.

وظل الشيخ مجاهداً حتى أذعن أهل نجد وتبعوه، وعمل فيهم بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبايعوا، وعمرت نجد بعد خرابها، وتوحدت بلدانها بعد شتاتها، ونال الفخر والملك من آواه، وصاروا ملوكاً بعد الذل والقتال، وهكذا كل من نصر الشريعة في قديم الزمان وحديثه ينصره الله ويظهره على أعدائه، ويجعله مالكاً لمن عاداه، ولقد أحسن الشيخ العلامة حسين بن غنام حين قال:

وجرّت به نجد ذيول افتخارها وحق لها بالألمعي ترفّع

وكان الشيخ ـ رحمه الله ـ الذي توفي عام 1206هـ، كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات:

بأي لسان أشكر الله إنه لذو نعمة قد أعجزت كل شاكر

حباني بالإسلام فضلاً ونعمة عليّ وبالقرآن نور البصائر

وبالنعمة العظمى اعتقاد ابن حنبل عليه اعتقادي يوم كشف السرائر[1]

(1) عثمان بن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد، ج1، ص 84 ـ 85.

وبهذه النية الصادقة، والاتكال على الله، واحتساب العمل له وحده نشأت دولة يحسب لها ألف حساب، امتدت حدودها واتسعت رقعتها، وارتفع قدرها، وذاع صيتها. وأصبحت مهابة، وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿ ... وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾[1].

(1) سورة الطلاق، الآيتان (2 ـ 3).

obeikandl.com

صورة تبين خريطة الدولة السعودية الأولى

obeikandl.com

obeikandl.com

نشأة الدبلوماسية السعودية
من خلال البعوث والرسائل

obeikandl.com

obeikandl.com

نشأة الدبلوماسية السعودية من خلال البعوث والرسائل:

بدأت الدبلوماسية السعودية منذ عهد الإمام محمد بن سعود أمير الدرعية. فبعد وصول الشيخ محمد بن عبدالوهاب إليه وعقد ميثاق الدرعية عام 1157هـ، أخذ الإمام محمد بن سعود بارسال الوفود والرسائل إلى أمراء البلدان المجاورة، مثل العينية والرياض وبلدان الوشم وسدير واليمامة، وكذلك إلى رؤساء القبائل والعشائر المحيطة بالدرعية، يدعوهم إلى تحكيم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ونبذ البدع والخرافات التي كانت سائدة في بعض تلك المناطق. وكانت ردود الفعل متباينة فمنهم من استجاب لدعوة الإمام، وأعلن انضمامه إلى الدولة السعودية وطلب من الإمام محمد بن سعود إرسال الدعاة لبيان أحكام الشريعة وتعليم الناس أمور دينهم، إلا أن بعض أمراء المناطق والمدن رفضوا الاستجابة لدعوة الإمام وأعلنوا محاربة الدرعية ومنهم دهام بن دواس أمير الرياض، وعريعر بن دجين أمير الاحساء وشيخ قبيلة بني خالد، وحسن بن هبة الله المكرمي أمير بعض قبائل نجران، ونتيجة لذلك بدأت المعارك تشتد حول الدرعية. لكن بتوفيق من الله استطاع الإمام محمد بن سعود أن يهزم تلك الجموع ويضم بلداناً جديدة إلى دولته.

وفي عام 1179 توفى الامام محمد بن سعود وتولى ابنه الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود مقاليد السلطة في الدولة وفي عهده أرسل الوفود والرسائل إلى مختلف المناطق المجاورة، فاستجاب الكثير

من أمـراء تلك المناطق للدعـوة وانضـمـوا إلى الدولة السـعـودية وأعلن آخرون الحرب على الامام عبدالعزيز فما كان منه إلا أن جهز قواته وسار بها لمحاربة الخارجين عن الدولة والمعادين للدعوة الاصلاحية واستطاع أن يضم الاحساء والقصيم وحائل ومعظم مناطق عسير، وبذلك اتسعت الدولة السعودية وانتشر العدل والأمن فيها بفضل من الله ثم بفضل تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.

وللوقوف على نشأة الدبلوماسية السعودية في الدولة السعودية الأولى والثانية من خلال البعوث والرسائل يجدر بنا إيراد نماذج من هذه الرسائل لبيان مفهوم الدبلوماسية السعودية التي تقوم على العدل وتحكيم كتاب الله وسنة رسول ﷺ.

الرسالة الأولى:

بمناسبة دخول الإمام عبدالعزيز بن محمد الرياض بعث الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ بالرسالة التالية مهنئاً وحاثّا الإمام على التوجه إلى الله بالحمد والثناء على ما مكنه من ضم الرياض دون حرب وذلك في سنة 1187هـ وهي الرسالة الأولى، التي قال فيها: «أحب لك ما أحب لنفسي، وقد أراك الله في عدوك ما لم تؤمل، فالذي أراه لك أن تكثر من قول الحسن البصري، الذي كان إذا بدأ حديثه يقول: «اللهم لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا، وفرجت عنا، ولك الحمد بالإيمان، ولك الحمد بالإسلام، ولك الحمد بالقرآن، ولك الحمد بالأهل والمال، والمعافاة، كبتّ عدوَّنا، وبسطت رزقنا،

وأظهرت أمننا، وأحسنت معافاتنا، ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا، فلك الحمد على ذلك حمداً كثيراً طيباً حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت»[1].

ومن هنا يتبين أن قيام هذه الدولة كان على منهاج واضح في السياسة والحكم والدعوة والاجتماع، هذا المنهاج هو الإسلام عقيدة وشريعة، ولئن كانت العقيدة والشريعة هي الأصول الكلية التي نهضت عليها الدولة، فإن تطبيق هذه الأصول متمثل في الالتزام بالمنهج الإسلامي الصحيح في العقيدة، والفقه، والدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي القضاء، وفي العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وبذلك كانت الدولة السعودية نموذجاً متميزاً في السياسة والحكم في التاريخ السياسي الحديث[2].

الرسالة الثانية:

في سنة 1204هـ أرسل الشريف غالب شريف مكة، كتاباً إلى الإمام عبدالعزيز، ذكر فيه أنه يريد رجلاً من أهل الدين يعرِّفه حقيقة هذا الأمر، ليكون فيه على بصيرة، عن هذه الدعوة والسياسة التي تنتهجها الدولة السعودية. فأرسل إليه عبدالعزيز الحصين، وكتب معه الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ رسالة للشريف غالب يبين فيها دعوته، وهذا بعض ما ورد فيها: «من محمد بن عبدالوهاب إلى

(1) حسين بن غنام، مصدر سابق، ص138 ـ 139.

(2) عبدالعزيز حسين الصويغ: الإسلام في السياسة الخارجية السعودية (ط1، الرياض، أوراق للنشر والأبحاث 1414هـ/1993م)، ص19.

الأعلام في البلد الحرام، نصر الله بهم سيد الأنام، عليه أفضل الصلاة والسلام، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، فقد جرى علينا من الفتنة ما بلغكم وبلغ غيركم، وسببه هدم بنيان في أرضنا على قبور الصالحين، ومع هذا نهيناهم عن دعوة الصالحين، وأمرنا بإخلاص الدعاء لله فلما أظهرنا هذه المسألة مع ما ذكرنا من هدم البناء الذي على القبور كبُر على العامة وعاضدهم بعض من يدّعي العلم،لأسباب ما تخفى على مثلكم أعظمها اتباع الهوى، مع أسباب أخر، وأنا أخبركم بما نحن عليه، بسبب أن مثلكم ما يروج عليه الكذب على أناس متظاهرين بمذهبهم عند الخاص والعام، فنحن ولله الحمد متبعون لا مبتدعون،على مذهب الإمام أحمد بن حنبل.

فلما طلب منا الشريف غالب ـ أعزه الله بنصره ـ امتثلنا، وهو إليكم واصل، فإن كانت المسألة إجماعاً فلا كلام، وإن كانت مسألة اجتهاد فمعلومكم أنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد، فمن عمل بمذهبه في محل ولايته لا ينكر عليه، وأنا أشهد الله وملائكته، وأشهدكم: أني على دين الله ورسوله، وأني متبع لأهل العلم»[1] اهـ.

الرسالة الثالثة:

أما الرسالة الثالثة فهى ما كتبه الإمام فيصل بن تركي لأهل البلدان بعد عودته إلى الرياض هاربا من مصر عام 1259هـ، يحثهم على فعل الطاعات، وترك المحرمات، ويأمرهم بالتمسك بالتوحيد،

(1) حسين بن غنام، المصدر السابق، ص173 ـ 174.

ومما جاء في هذه الرسالة قوله: «إن أجمع الوصايا وأنفعها، الوصية بتقوى الله تعالى، فقد قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ** ﴾[1]».

«وتقوى الله أن يعمل العبد بطاعة الله، على نور من الله، يرجو ثواب الله، وأن يترك معصية الله، على نور من الله يخاف عقاب الله. ومعظم التقوى والصحيح لأعمالها توحيد الله بالعبادة، وهي دين الرسل الذين بعثوا به إلى العالمين، وهو مبدأ دعوتهم لأممهم، وهو معنى كلمة الإخلاص شهادة أن لا إله إلا الله، فإن مدلولها نفي الشرك في العبادة، والبراءة فيه، وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، ولا ند له». «ولقد قال تعالى: ﴿ **فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (2) أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** ﴾[2]، ثم قال الإمام فيصل بن تركي «فيامن يدعي التوحيد اعرف هذه النعمة، وقدرها، فإنها أعظم نعمة أنعم الله بها على من عرفها وأحبها وقبلها وعمل بها ولزمها، فقابلوها بالشكر، ولا تكفروها بالإعراض عنها واحذروا أن يصدكم الشيطان عن ذلك، واعلموا أنه قد غلط في هذا طوائف لهم علوم وزهد، وورع وعبادة، فما حصل لهم من العلوم إلا القشور وقد حرموا لبه وذوقه، وقلدوا أسلافاً قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً، وضلوا عن سواء السبيل، فيالها من مصيبة ما أعظمها، وخسارة ما أكبرها، فلا حول ولا قوة إلا بالله»[3].

---

(1) سورة النساء، الآية (131).

(2) سورة الزمر: الآيتان (2 ـ 3).

(3) عثمان بن بشر: المصدر السابق، ج2، ص347 ـ 348.

وبذلك يتضح لنا أن دبلوماسية الدولة السعودية في طوريها الأول والثاني، قامت على الفطرة التي فطرالله الناس عليها، وهي الدين الحنيف، وما حث عليه من وفاء بالعهد، وتأمين المبعوثين، وتكريمهم، والأخذ على يد المعتدي الظالم وردعه، وقمع أهل الفسق والعصيان.

أما لماذا لم تكن هناك دبلوماسية بشكل أوسع في طوري الدولة السعودية الأول والثاني، بمفهومها الحالي، فالأسباب عديدة، منها:

1ـ أن الدولة كانت في تلك المرحلة مشغولة بتأسيس القاعدة الداخلية.

2ـ لم يكن للدولة اتصال خارجي واسع بالدول المجاورة.

3ـ لم يكن هناك، كما هو الآن، من وسائل المواصلات والاتصالات التي توصلها بالعالم الخارجي، زيادة على ذلك أنه لم يطأ أرضها مستعمر.

ويتضح من تلك الرسائل سمو الدعوة والسياسة الحكيمة التي نهجها الأئمة من آل سعود في الدولة الأولى والثانية من إخلاص للدعوة إلى توحيد الله، وهي الركيزة التي أسس عليها الحكم في هذه البلاد كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ.

فمن الملامح العطرة عن السياسة الحكيمة التي كان يتبعها الأئمة من آل سعود واتصافهم بالحصافة والشجاعة واستشارة ذوي الرأي، والنصح لله ولرسوله وللمؤمنين، ما ورد عن الإمام سعود بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ أنه أخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ حيث أقام مدة يقرأ عليه، ثم كان يلازم مجالس الدرس عنده، وله معرفة بالحديث والفقه وغير ذلك، وكان أول ما يصدر النصيحة

يصدرها بتقوى الله تعالى، ومعرفة نعمة الإسلام، ومعرفة التوحيد، والاجتماع بعد الفرقة، ثم الحض على الجهاد في سبيل الله، ثم الزجر عن جميع المحظورات من الزنى والغيبة والنميمة وقول الزور والمعاملات الربوية، وغير ذلك، وكل نوع من ذلك يأتي عليه بالأدلة من الكتاب والسنة وكلام العلماء. وهو مع ذلك في غاية التواضع مع المساكين وذوي الحاجة، وكان ذا رأي باهر، وعقل وافر، ومع ذلك إذا همه أمر أو أراد إنفاذ رأي أرسل إلى خواصه من رؤساء البوادي واستشارهم، فإذا أخذ رأيهم وخرجوا من عنده، أرسل إلى خواصه وأهل الرأي من أهل الدرعية، ثم أخذ رأيهم، فإذا خرجوا من عنده أرسل إلى أبناء الشيخ وأهل العلم من أهل الدرعية واستشارهم، وكان رأيه يميل إلى رأيهم ويظهر لهم ما عنده من الرأي، وكان ثبتاً شجاعاً في الحروب، محبباً إليه الجهاد في صغره وكبره ـ رحمه الله ـ[1].

(1) عثمان بن بشر، المصدر السابق، ص163 ـ 164.

obeikandl.com

الأسس الإسلامية الأهداف ومميزات الدبلوماسية السعودية

obeikandl.com

obeikandl.com

الأسس الإسلامية لأهداف ومميزات الدبلوماسية السعودية:

لقد أخذت الدولة السعودية على عاتقها مناصرة تجديد دعوة الرسول ﷺ، ومحاربة البدع والخرافات التي كانت موجودة في تلك الفترة من الزمن، على يد المجدد والمصلح الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ الذي كان مسجده جامعة للناس، اقتداء بالرسول ﷺ الذي انطلقت دعوته، وأسس دولته الإسلامية من مسجده ﷺ.

ففي مسجد جامع الطريف بالدرعية انطلقت الدعوة إلى تصحيح عقيدة التوحيد، فكان المسجد جامعاً لكل العلوم، فقد تخرج منه القادة والعلماء والمثقفون وأمراء المناطق، والتجار، والمزارعون الذين كانوا يعملون بالزراعة ليلاً في مزارع الدرعية، ويدرسون بالنهار.

وبتوفيق من الله، ثم بعزم الرجال، وهمتهم العالية، قامت الدولة السعودية الأولى، وامتد نفوذها إلى مناطق واسعة من شبه الجزيرة العربية، فوصلت حدودها من البحر الأحمر غرباً إلى الخليج شرقاً، ومن أطراف الربع الخالي جنوباً إلى حدود الشام شمالاً، وقد قامت في هذه الدولة الإسلامية دبلوماسية كان من أهم أهدافها ومميزاتها ما يلي:

1. السياسة الحكيمة في استقبال الوفود، وبعث الرسل بالرسائل لتبليغ دعوة التوحيد التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، لتصحيح العقيدة، والرجوع بها إلى ما جاء في الكتاب والسنة النبوية المطهرة، وقد آزر الإمام محمد بن سعود هذه الدعوة

وجعلها منهجاً لدولته، مع عدم التدخل في الأمور الداخلية للدول المجاورة.

2ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالطرق الشرعية المحببة إلى النفس، ابتداءً من الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وليس بالفظاظة والغلظة.

3ـ الأخذ بالأسباب الموصلة إلى كسب قلوب الناس بالنصح والإرشاد والموعظة الحسنة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[1].

4ـ كفالة حرية الفرد والمجتمع، ومناصرة أي مظلوم والدفاع عنه بما يتفق مع هدي الدين الحنيف، اتباعاً لما جاء عن الرسول ﷺ في حديث البراء بن عازب «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»[2] وفسر نصرة الظالم بردعه عن ظلمه، والأخذ فوق يده.

5 ـ إيجاد الرجال الأكفاء الذين يعتمد عليهم في المهمات، للوصول إلى الأهداف النبيلة، لخدمة الوطن.

6ـ حرية الرأي، والمناصحة بين الحاكم والمحكوم، بما لا يخرج عما جاء في الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة.

7ـ التركيز على ارسال المرشدين والدعاة الأكفاء، الذين يصلون إلى قلوب الناس وارشادهم بالنصح إلى الطريق المستقيم.

---

(1) سورة النحل، الآية (125).

(2) الإمام البخاري، كتاب المظالم، الجزء الخامس، ص71.

8 ـ الحث على جهاد النفس أولا، مع البحث عن العصاة والفسقة ومرتكبي الجرائم، ودعاة الإخلال بأمن الدولة، ومعاقبتهم بالعقوبة الرادعة لهم ولأمثالهم، كما نص عليها الشرع الحنيف.

9 ـ تشجيع طلبة العلم ومؤازرتهم في الوصول إلى هدفهم، ليكونوا نواة صالحة لأنفسهم ولمجتمعهم.

10ـ تشجيع الصناع والمزارعين على الاهتمام بالصناعة والزراعة، لأنها من أهم الأمور التي تخدم المجتمع، وخاصة في ذلك الوقت، لإيجاد نوع من الاكتفاء الذاتي في المأكل والملبس. وعلى هذا الأساس التزمت الدولة السعودية بالقاعدة الأساسية التي لم تحد عنها منذ نشأتها، وهي تنفيذ أوامر الشرع التي جاءت في الكتاب والسنة.

obeikandl.com

obeikandl.com

التطور السياسي والدبلوماسي للدولة السعودية الأولى والثانية.

obeikandl.com

obeikandl.com

التطور السياسي والدبلوماسي للدولة السعودية الأولى والثانية:

كانت بداية الدولة السعودية الأولى عام 1157هـ/1744م على يد المؤسس الأول الإمام محمد بن سعود ـ رحمه الله ـ لم تعرف في ذلك الوقت التمثيل الدبلوماسي الحديث، الذي ظهر وأخذت به الدولة السعودية المعاصرة على يد مؤسسها الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ فقد بدأ الملك عبدالعزيز يعطي اهتمامه البالغ بالتمثيل الدبلوماسي بعد ضم جدة بتاريخ 7 جمادى الآخرة 1344هـ الموافق 24 ديسمبر 1925م. مسترشداً بمبادئ الشريعة الإسلامية السمحة، وسنة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام في سياسته وتصرفاته الدبلوماسية القائمة على الصدق وحفظ العهود والعدل[1].

ومن أبرز سياسات الملك عبدالعزيز الحكيمة أنه لزم الحياد خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية، وبذلك كسب ثقة الدول وإعجابها به.

أ ـ الدولة السعودية الأولى:

الدبلوماسية السعودية كانت ولا تزال مبنية على قاعدة راسخة قوية هي كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ، وذلك منذ أن عقد ميثاق الدرعية عام 1157هـ.

فعندما حمل آل سعود مهمة دعوة الإصلاح في عهد الإمام محمد بن سعود، لم تكن حدود إمارتهم تتعدى بلدتين أو ثلاثاً مع القرى التابعة لها في

(1) محمد عمر مدني: العلاقات الدبلوماسية للمملكة العربية السعودية، (الرياض، ط3، معهد الدراسات الدبلوماسية 1410هـ)، ص20.

وادي حنيفة، فلما توفي الإمام محمد، بعد أن ناصر الدعوة بسيفه، ولسانه، وقلمه، مدة واحد وعشرين عاما، تسلّم راية الدعوة من بعده ابنه الإمام عبدالعزيز بن محمد، الذي بسط نفوذ وسيادة الدولة السعودية على كثير من البوادي والحواضر في شبه الجزيرة العربية، حاملا معه حيثما حل السياسة الحكيمة، وتعاليم الشيخ محمد بن عبدالوهاب في العودة إلى الإسلام الصحيح، حتى بلغ بها الرياض، فاستولى عليها بعد غزوات متوالية استمرت خمس سنوات، ثم اجتاز برجاله الأشداء النفود[1] فوصل إلى القصيم، وغزا الأحساء فضمها أيضاً عام 1208هـ، وكان لضم آل سعود للأحساء نتائج عظيمة من أهمها[2]:

1ـ أن دائرة نفوذ الدولة السعودية اتسعت اتساعاً كبيراً مما زاد في هيبتها السياسية، وقدرتها العسكرية.

2ـ أن الطرق أصبحت ممهدة أمام انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ الإصلاحية لتنتشر بين سكان المنطقة الجديدة التي تمّ ضمها إلى الدولة.

3ـ أن الجهات الخارجية التي لها مصالح في الخليج العربي بدأت تهتم بأمر الدولة السعودية، وتقيم لها وزناً كبيراً. ومن هذه الجهات شركة الهند الشرقية البريطانية، والحكومة الفارسية.

4ـ أن الدولة السعودية أصبحت ذات حدود مع بقية إمارات الخليج العربي ومع الدولة العثمانية ممثلة في باشوية بغداد. وبات لا مفر لها من التعامل مع تلك القوى سياسياً وعسكرياً.

---

(1) النفود: نسبة إلى كثبان من الرمال تعرف في غرب شبه الجزيرة العربية بنفود السر، وفي شمالها وشرقها بنفود الدهناء.

(2) يمكن الرجوع إلى كتاب بلاد العرب ص242، تأليف: الحسن بن عبدالله الأصفهاني.

5 ـ أن الدولة السعودية تمكنت من الوصول إلى البحر فأصبح في إمكانها أن تستورد ما تحتاج إليه من بضائع خارجية بطريقة مباشرة. وأصبح لدى مواطنيها القدماء فرصة للعمل في البحر. على أن الأهم من هذا كله أن ضم الأحساء أضاف إلى رقعة الدولة منطقة زراعية خصبة زاد إنتاجها الخزانة العامة للدولة ثروة وغنى[1].

وبذلك ظهر الإمام عبدالعزيز على بني خالد ـ وهم الذين تسببوا في إخراج الشيخ محمد بن عبدالوهاب من بلدة العيينة إلى الدرعية ـ واستمر في محاربة الخارجين على الدعوة، ومحاربة البدع والخرافات حتى بلغ مدينة كربلاء في العراق، وكان قائد جيشه في هذه الحملة ابنه الأمير سعود، الذي استطاع دخولها ظافراً، وهدم بعض قبابها التي يتنافى وجودها مع دعوة التوحيد.

بقي الإمام عبدالعزيز بن محمد يحمل راية التوحيد تسعة وثلاثين عاماً (1179هـ ـ 1218هـ) وخلال هذه الفترة امتدت حدود الدولة السعودية إلى الخليج العربي شرقاً، فأصبحت تضم البحرين، وعمان، وقبائل القواسم في رأس الخيمة، مما جعل المؤرخين يجزمون أن الشاطئ الغربي للخليج أصبح في ذلك الوقت جزءاً من الدولة السعودية الأولى، كما وصلت حدود دولته إلى حدود الحجاز وعسير غرباً، وبلاد الشام والعراق شمالاً، وحضرموت واليمن جنوباً. واستشهد عام (1218هـ/1803م) وهو يصلي العصر في مسجد

(1) عبدالله الصالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، (الطبعة الخامسة، الرياض، مطابع الشريف، 1414هـ/1993م)، ج1، ص122 ـ 123.

الطريف بالدرعية ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ [1].

فبويع الامام سعود بن عبدالعزيز في عام 1218هـ/1803م بعد استشهاد والده، وكان الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ قد أخذ له البيعة بولاية العهد من أبيه في عام 1202هـ، لأنه كان أكبر ابناء الإمام عبدالعزيز سّناً وأشدهم بأساً وأنفذهم بصيرة، وأكبرهم عقلا، وأكثرهم تفانياً في الدعوة إلى الله، فكان في حياة أبيه هو قائد الجيش، والفاتح لأكثر البلدان التي دانت لهم. وفي عهده تم ضم الحجاز في سنة 1218هـ، كما أنه واصل تقدمه في الشمال إلى ضواحي دمشق، فدانت له أجزاء من بادية الشام والعراق، وامتدت دولته جنوباً إلى رأس الخيمة في عمان وزبيد في اليمن[2].

وكانت مصر قد خضعت للاحتلال الفرنسي إثر حملة نابليون بونابرت في عام 1213هـ/1798م، وكاد الحجاز يقع في يد الاستعمار الفرنسي إلا أن الله هيأ الإمام سعود فهبّ إلى انقاذ الحجاز قبل أن تطأه قدم المستعمر، أو تدنسه يد الغاشم، فقام بضمه إلى دولته الفتية سنة 1218هـ بعد أن انتهى من ضم الأحساء والمناطق الشمالية له، فكان ذلك بمثابة تسخير من الله للبلد الأمين مكة المكرمة، ومسجد رسوله الأمين ﷺ في المدينة المنورة لإنقاذهما من كارثة عظيمة.

ومن نتائج دخول الحجاز تحت حكم الدولة السعودية:

1ـ أن مساحتها قد ازدادت كثيراً، فأصبحت تمتد من الخليج العربي إلى البحر الأحمر.

---

(1) أحمد عسة: معجزة فوق الرمال، (ط3، بيروت، المطابع الأهلية اللبنانية 1391هـ/ 1971م)، ص20 ـ 21.

(2) حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، (ط4، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر 1381هـ/1961م) ص 225 ـ 226.

2ـ أن هيبتها قد قويت في الأقطار الإسلامية، إذ أصبح الحرمان الشريفان في يدها، وهي الدولة المتمسكة بالشريعة إلى أقصى حد، المصممة على منع كل ما من شأنه أن يخالف هدي الإسلام، وذلك بعد أن تعرضت مصر للغزو الفرنسي الغاشم.

3ـ إصابة الدولة العثمانية بضربة معنوية هائلة، لأن سلاطينها حرصوا دائما على أن يظهروا بمظهر حراس الحرمين الشريفين وخدامهما، وفي ذلك ما فيه من كسب زعامة العالم الإسلامي من الناحية المعنوية. وإذا كان السلاطين العثمانيون قد أدركوا خطر الدولة السعودية على نفوذهم قبل استيلائها على الحجاز، وحاولوا القضاء عليها عن طريق باشا بغداد فعجزوا، فإنهم صمموا بعد ذلك الاستيلاء على مضاعفة الجهود، والبحث عمن هو في وضع أحسن من وضع ذلك الباشا ليقوم بإعادتها إلى حوزتهم. وقد وجدوا ضالتهم المنشودة في حاكم مصر محمد علي باشا[1].

لقد ضاقت الدولة العثمانية ذرعاً باتساع دولة آل سعود في شبه جزيرة العرب، واشتد حنقها عليها حينما انتقلت إليها «الإمامة» وهي صنو «الخلافة» التي كان يقوم عليها عرش آل عثمان، وكان أكثر ما يخشاه الإمام سعود على أمة الإسلام أن تصبح ديارها لقمة سائغة للكفرة والملحدين، بعد أن عجزت الدولة العثمانية عن صد خطر الاستعمار عن مصر، حيث ثبت عجز الدولة العثمانية في تلك الفترة عن حماية البلاد الإسلامية، وعندما أدركت الدولة العثمانية خطأها وفشلها في

(1) عبدالله صالح العثيمين: المصدر السابق، ج1، ص136 ـ 137.

صد الخطر الاستعماري عن البلاد العربية والإسلامية، أخذت تتخبط لعلها تتمكن من بسط نفوذها مرة أخرى على مصر والحجاز، وقد استخدمت في ذلك أسلوب القسوة، وخاصة ضد الدولة السعودية الأولى وقادتها، بهدف تبرير تحركاتها وقسوتها وبربرية حروبها، فانتدبت أحد كبار قادتها وهو عثمان باشا، وعينته والياً على حلب سنة 1220هـ/1805م، وأرسلته بجيش إلى دمشق، فضم جيشها إلى من معه، وتوجه إلى جدة فوصل إليها سنة 1221هـ/1806م، وكانت الخطة أن يزحف الجيش الأول إلى المدينة عن طريق ينبع، ويزحف الجيش الثاني من العراق لمهاجمة الدرعية، وسيرت جيشاً آخر بقيادة يوسف باشا المعروف بالصدر الأعظم السابق بالدولة، إلى الدرعية، وكان اشتعال جذوة الحرب على يد واليها بمصر محمد علي باشا.

انتدب الإمام سعود ابنه عبدالله لقتالهم سنة 1226هـ/1811م، فمزق الجيش السعودي حملة محمد علي بقيادة ابنه طوسون، في ينبع ثم جهّز الإمام سعود جيشاً كبيراً قاده بنفسه، حالفه الظفر في أكثر معاركه، وذلك طوال عام 1228هـ/1813م، ولكن الإمام سعود توفي عام 1229هـ/1814م، ثم تولى الإمامة من بعده ابنه عبدالله بن سعود، وتعددت المعارك، إلى أن كانت الكارثة بتقدم الجيش بقيادة إبراهيم باشا بن محمد علي باشا (والي مصر يومئذ)، وتغلبهم على الديار النجدية وسواها مما وصل إليه ملك آل سعود، فاستسلم الإمام عبدالله بن سعود لإبراهيم باشا مصالحاً، واحتل إبراهيم باشا الدرعية في 8 ذي القعدة 1233هـ/ 1818م[1].

(1) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، ج1، ص 38 ـ 40.

وقد قام إبراهيم باشا بتخريب الدرعية وهدمها على أهلها دون وازع أو رحمة، ودمر عساكره قصورها، وأشعلوا النار في دورها، وقطعوا النخيل من بساتينها، وكذلك فعلوا في البلدان الأخرى التي اكتسحوها في العارض وفي الخرج، وهدموا الحصون والقصور في الوشم وفي القصيم.

انسحب إبراهيم باشا بجنوده من نجد في فصل الصيف من سنة 1234هـ/ 1819م، بعد أن أقام سبعة أشهر في الدرعية، فضربت الفوضى في البلاد، وكان الناس يهجرون بيوتهم في الدرعية فيهيمون على وجوههم في البراري فراراً من التسخير والإرهاق والقتل والتعذيب[1]، بيد أن ذلك لم ينل من عزيمة المصلحين وانتشار الدعوة، فقدكانت السياسة في الدولة السعودية الأولى واضحة، تقوم على مناصرة دعوة التوحيد، والعودة بالناس إلى الدين الصحيح، واتباع ما جاء في الكتاب والسنة المطهرة، ولذا فقد شاءت قدرة الله تصحيح المعتقد، وترك الشرك بالله، وما كان عليه بعض البادية والحاضرة في نجد، من اتباع المشعوذين والدجالين، ومن خلال التطور السياسي والتاريخي للدولة السعودية بسبب نصرتها ومؤازرتها للدعوة الصحيحة، فقد أحدثت انتشاراً واسعاً في شبه الجزيرة العربية، كما دخلت الدعوة إلى عدد من دول العالم الإسلامي.

(1) أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث، (ط6، بيروت، دار الجيل 1409هـ/ 1988م)، ص91.

اتصالات الدولة السعودية الأولى بدول العالم وجيرانها:

كان لابد لنابليون بونابرت بعد وصوله إلى مصر أن يضع في أولوياته مد يده العدوانية إلى دولة آل سعود في شبه الجزيرة العربية، التي أصبحت ذات كيان كبير، لذلك أوفد نابليون إلى الدرعية رسولاً دبلوماسياً يدعى «لاسكاريس» في نهاية عام 1226هـ/1811م، وقد تمكن مندوب نابليون لاسكاريس من عقد عدة اجتماعات سرية مع الإمام السعودي الذي كان حذراً من هذا التقارب، والذي يرفضه جملة وتفصيلاً، لكن الإمام سعود أصغى باهتمام زائد إلى عروض رسول نابليون الذي كان أكبر همه هو النظر في مصالح بلاده وأطماعها في الخليج العربي والبحر الأحمر، فنجده يطلب تسهيل مرور السفن الفرنسية عبر البحار العربية إلى الهند، بعد القضاء على الدولة العثمانية، وبما أن الإمام سعود لم يكن له أسطول بحري في تلك الفترة، فإنه لم يعط الموضوع أي اهتمام، ورفض نزول تلك السفن في الموانئ السعودية، سواء على البحر الأحمر أو الخليج العربي[1].

لم يكن الإنجليز غافلين عما يجري، فقد بلغت مسامع عملائهم في السويس، وجدة، ومسقط، وعدن، تفاصيل المباحثات الدائرة في عاصمة نجد «الدرعية»، فبادرت حكومة لندن التي كانت تتخوف من تحالف عربي ـ فرنسي في المنطقة إلى إيفاد مبعوثيها لمقابلة الإمام سعود، ومحاولة إقناعه بالابتعاد عن الفرنسيين، لقاء وعد بحمل السلطان العثماني على الاعتراف بالدولة السعودية وسيطرتها على جميع البلاد الخاضعة للإمام سعود.

وازن الإمام سعود طويلا بين العرضين المتناقضين، فوجد في النهاية

(1) بنوميشان: عبدالعزيز آل سعود سيرة بطل ومولد مملكة، (بيروت، دار الكتاب العربي، 1385هـ/1965م)، ص34.

أن كلاً منهما لا يهدف إلى تحقيق أماني الشعوب العربية والإسلامية، ولذلك أصدر الإمام سعود أوامره بالاستعداد للمعركة، وتطهير بلاد الشام والعراق من الجيوش المعادية، بهدف جمع الكلمة، ووحدة البلاد الإسلامية[1].

وكان الامير سعود بن عبدالعزيز قد سار بقوات كبيرة إلى العراق عام 1216هـ/1801م، وقام بهجوم خاطف على كربلاء، وحطم ما رآه مخالفا للدين القويم، ثم غادر تلك البلدة مسرعاً دون أن تدركه قوات محمد علي باشا التي أرسلت لمهاجمته[2].

وفي عام 1220هـ/1805م سار الإمام سعود بالجيوش المنصورة، والخيل والجياد المسومة، وقصد جهة الشمال، ونازل بلد المشهد المعروف في العراق، ثم سار وقصد السماوة، وحاصر أهلها، ثم رحل منها، وقصد إلى جهة البصرة، ونازل أهل بلد الزبير، ورحل منه إلى وطنه[3].

لقد سلك حكام الدولة السعودية الأولى سياسة حكيمة لتجنب الكوارث، ولكن لم يكن شيء يتم في هذا الكون إلا بأمر الله وحكمته، وأهم من ذلك كله عندهم، هو وصول الدعوة إلى المسلمين في الدول المجاورة لهم، فبذلوا أنفسهم وأموالهم في سبيل الدعوة إلى الله، فبلغهم الله مرادهم، ووصلت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ إلى كثير من دول العالم، وأطلق عليها الحاقدون اسم الوهابية، ومن الطريف أن إمام أحد مساجد الهند كان يخطب في كل صلاة جمعة،

(1) بنوميشان، ص34 ـ 36.

(2) عبدالله بن صالح بن عثيمين، المصدر السابق، ج1، ص161.

(3) عثمان بن بشر، المصدر السابق، ج1، ص131 ـ 132.

ويتعرض للشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته بالسوء، فجاء له رجل حكيم هو الشيخ عبدالرحمن البكري من أهل نجد بأحد كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب وقد نزع الغلاف المعنون باسم الكتاب ومؤلفه، وطلب من الإمام أن يقرأ هذا الكتاب، ويخبره برأيه فيه، فلما قرأ الإمام الكتاب أثنى على مؤلفه، حيث إن كلامه يوافق الكتاب والسنة، فقال له البكري: هل تعلم من مؤلف هذا الكتاب؟ قال: لا، فقال له: إن مؤلفه هو الرجل الذي تتعرض له في خطبك على المنبر! إنه الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وفي الخطبة التالية، صحح الإمام مفهومه عن الدعوة، واعترف بخطئه وتهجمه على الدعوة بسبب ما وصله من الحاقدين والمروجين ضدها، وأثنى على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ وأنها دعوة إصلاح لتصفية العقيدة من الشوائب كالبدع والخرافات[1].

أمراء الدولة السعودية الأولى والثانية:

أ ـ الدولة السعودية الأولى:

لقد تولى الحكم في الدولة السعودية الأولى أربعة أئمة هم:

1ـ الإمام محمد بن سعود: (المؤسس الأول للدولة السعودية) في الفترة ما بين عام 1139هـ/1726م إلى عام 1179هـ/1765م.

2ـ الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود: تولى الإمامة بعد وفاة والده، في الفترة ما بين عام 1179هـ/1765م إلى عام 1218هـ/1803م.

3ـ الإمام سعود بن عبدالعزيز الكبير: تولى الإمامة بعد مقتل أبيه، في الفترة ما بين عام 1218هـ/1803م إلى عام 1229هـ/1814م.

(1) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ـ رحمه الله ـ، ج1، ص75، طبعة 1399هـ .

4ـ الإمام عبدالله بن سعود: تولى الإمامة بعد وفاة والده، في الفترة ما بين عام 1229هـ/1814م إلى عام 1233هـ/ 1818م، وهي سنة سقوط الدرعية على يد إبراهيم باشا، ونهاية الدولة السعودية الأولى. التي دامت من عام 1139هـ 1726م إلى عام 1233هـ 1818م واستمرت أربعة وتسعين عاماً وهذا هو عمر الدولة السعودية الأولى[1].

ب ـ الدولة السعودية الثانية:

بعد استيلاء إبراهيم باشا على الدرعية عام 1233هـ/ 1818م قام بتخريبها، وتهديمها، فعانت شبه الجزيرة العربية، وخاصة نجد من الفوضى والاضطرابات الشيء الكثير، الذي دام ست سنوات.

ورغم أن الدولة السعودية الأولى انهارت من الوجهة السياسية فإن مقومات الدولة السعودية الثانية كانت قائمة في البلاد النجدية، حيث ظلت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ عالقة في أذهان الناس، وظل المجتمع النجدي على ولائه لأسرة آل سعود التي أخذت على عاتقها وحدة البلاد، وتطورها ورقيها في ظل العمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ المطهرة.

وفي أوائل عام 1234هـ/1818م خلال فترة الاضطراب السياسي التي أعقبت هدم الدرعية والقضاء على الدولة السعودية الأولى وبعد

(1) منير عبدالحميد هارون: المملكة العربية السعودية، الشريعة الإسلامية تحكم، (ط1، الآراء للخدمات الإعلانية 1414هـ/1993م)، ص 25.

إنسحاب إبراهيم باشا بقواته من الدرعية ترك محمد بن مشاري بن معمر الدرعية واستقر في بلدة العيينة التي كانت إمارتها لأسرته.

وفي أواخر عام 1234هـ/1819م عاد محمد بن مشاري بن معمر إلى الدرعية وأخذ يعيد بناءها ودعا قادة المنطقة إلى مبايعته، وكان زعماء بلدة منفوحة أول من انضم إليه.

لقد ازدادت شعبية ابن معمر، وعاد إلى الدرعية كثير ممن تركوها، ومن بين هؤلاء، تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، وأخوه زيد اللذان أخذا يساعدان ابن معمر في نشاطه، وبدت بوادر النجاح تلوح في الأفق أمام رئيس الدولة الناشئة الذي دانت له بعض البلدان النجدية بالولاء، على أن نجاح ابن معمر لم يستمر، فقد جابهته مشكلة لم يتوقعها وذلك أن مشاري بن سعود، أخو الإمام عبدالله كان قد قدم إلى الدرعية ولم يجد محمد بن مشاري بن معمر أمامه حلاً إلا أن يتنازل له عن الحكم.

وبعد أن انضمت إلى مشاري بن سعود كثير من بلدان الإقليم، ودانت له بالولاء، إلا أن النجاح الذي حققه مشاري بن سعود لم يستمر، فقد قام ابن معمر بالاستعانة بفيصل الدويش زعيم قبيلة مطير، فأرسل له بعض أتباعه ودخل الدرعية، وقبض على مشاري بن سعود، وأرسل إلى سدوس، لكن أتباع ابن معمر خافوا من القائد التركي فسلموا الأمير مشاري بن سعود إلى أتباع القائد التركي آيدش أغا، وأخذ إلى عنيزة، حيث توفى بسجنه هناك.

وفي عام 1236هـ/1820م استطاع تركي بن عبدالله القضاء علي ابن معمر وابنه واستعادة حُكم آل سعود بالدرعية، وما أن علم محمد

علي بنجاح الامام تركي بن عبدالله، حتى أرسل تعزيزات أخرى إلى نجد للقضاء على الحركة السعودية الجديدة، بقيادة حسين بك، فلم يكتب لها النجاح، ثم قامت حملة عسكرية أخرى بقيادة حسين أبو ظاهر، وقد تكبدت هذه الحملة الغازية خسارة فادحة عام 1237هـ/1821م.

وفي رجب عام 1238هـ/1822م تصالح الطرفان على أن يترك بقية الجنود الغزاة عنيزة إلى المدينة المنورة بأسلحتهم، ولم يتبق في نجد من جيش الغزاة إلا الذين في منفوحة والرياض، وفي شهر رمضان من نفس العام استأنف تركي بن عبد الله نشاطه لإخراج بقية القوات الغازية من نجد وتوحيد المنطقة.

وفي أواخر عام 1239هـ/1823م تقدم تركي بن عبدالله بأعوانه إلى منفوحة وأجبر من كان فيها من الجنود على مغادرتها، واستولى عليها، ثم شدد حصاره على العسكر الموجودين في الرياض حتى طلب قائدهم أبو علي المغربي الصلح، فوافقه تركي على ذلك، وتم الصلح بينهما على أن يغادر المغربي نجداً بقواته وأسلحته وأن يؤمن من تعاون معه من أهل الرياض.

وفي عام 1240هـ/1824م استطاع الإمام تركي بن عبدالله تحرير الرياض وجعلها عاصمة للدولة السعودية الثانية وكذا تحريرسائر بلدان نجد من سيطرة محمد علي ـ والي مصر في ذلك الوقت ـ ومن ذلك التاريخ بدأت الدولة السعودية الثانية، واستمرت على مدى خمسة وسبعين عاماً هي عمر الدولة السعودية الثانية، بما فيها الفترة الإنتقالية التي دامت ست سنوات، كانت هناك فترات حكم تناوب فيها

الحكام من آل سعود على النحو التالي:

1 ـ الإمام مشاري بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، عاد إلى الدرعية عام 1235هـ وتنازل له محمد بن مشاري بن معمر عن الحكم بالدرعية، ثم قام عليه بإنقلاب وقبض عليه وسلم لقوات القائد التركي أيدش أغا، وأرسل من سدوس إلى عنيزة، وتوفى في سجنه في نفس العام.

2 ـ الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، حكم خلال الفترة من عام 1240هـ/1824م إلى عام 1249هـ/1833م، وانتهى حكمه باغتياله على يد ابن أخته مشاري بن عبدالرحمن بن حسن ابن مشاري بن سعود، وذلك في آخر جمعة من آخر شهر ذي الحجة 1249هـ والذي استمر في الحكم أربعين يوماً، وقد استطاع الإمام فيصل بن تركي أن يقضي على حركة مشاري في مطلع 1250هـ/ 1834م.

3 ـ الإمام فيصل بن تركي: (الفترة الأولى) من عام 1250هـ/1834م إلى عام 1254هـ/1838م، خلف الإمام فيصل بن تركي والده الإمام تركي بن عبدالله في الحكم، وخلال فترة حكمه الأولى التي لم تدم سوى أقل من أربع سنوات، تمكن فيها من استعادة الرياض بعد استشهاد والده الإمام تركي بن عبدالله، لكن ـ محمد علي ـ الوالي العثماني على مصر شن حملة عسكرية استهدفت القضاء على حكم آل سعود مرة ثانية وتم خلال هذه الحملة أسر الإمام فيصل ابن تركي وأرسله إلى مصر حيث قضى في الأسر بمصر نحو خمس سنوات تمكن بعدها من العودة إلى نجد عام 1259هـ/1843م،

وخلال فترة غياب الإمام فيصل في مصر حكم نجد كل من:

4 ـ خالد بن سعود: من عام 1254هـ/1838م إلى عام 1257هـ/1841م.

5 ـ عبدالله بن ثنيان: من عام 1257هـ/1841م إلى عام 1259هـ/1843م.

6 ـ الإمام فيصل بن تركي (الفترة الثانية) من عام 1259هـ/1843م إلى عام 1282هـ/1866م. وخلال تلك الفترة الثانية من حكم الإمام فيصل بن تركي قويت الدولة السعودية، وبسطت السلطة والنظام والاستقرار على أنحاء نجد والإحساء، ووصلت الدولة السعودية في عام 1280هـ/1863م إلى أوج النمو والازدهار، وبعد عامين توفي الإمام فيصل بن تركي، وجاء بعده أبناؤه عبدالله، ومحمد، وسعود، وعبدالرحمن.

7 ـ الإمام عبدالله بن فيصل (الفترة الأولى) من عام 1282هـ/1866م إلى عام 1286هـ/1870م.

8 ـ الإمام سعود بن فيصل في الفترة من 1286هـ/1870م إلى عام 1291هـ/1875م.

9 ـ الإمام عبدالله بن فيصل: (الفترة الثانية) من عام 1291هـ/1875م إلى عام 1305هـ/1887م.

10ـ الإمام عبد الرحمن بن فيصل: من عام 1307هـ/1889م إلى عام 1309هـ/1891م.

أما الفترة التي كانت بين حكم الإمام عبدالله بن فيصل وأخيه الإمام عبدالرحمن بن فيصل فكانت البلاد تعيش خلالها في حروب أهلية بين أبناء الإمام فيصل بن تركي، عبدالله بن فيصل، ومعه أخوه

محمد بن فيصل، وأخوهم سعود بن فيصل في الفترة ما بين 1286هـ/1870م إلى 1307هـ /1889م.

لقد عملت النزاعات بين الإخوان على إلحاق الضرر بالأسرة، وتشتيت جهودها، مما فتح المجال واسعاً أمام تحديات القوة المتزايدة لابن رشيد، الذي كان قد ولاه آل سعود الإمارة على حائل.

وحين انتهى الأمر بإرغام الإمام عبدالرحمن الابن الأصغر للإمام فيصل بن تركي على مغادرة الرياض، مدينة أسلافه، كان قسم كبير من نجد تحت سلطة محمد بن رشيد، وفي عام 1309هـ/1891م عين آل الرشيد حاكماً من قبلهم على الرياض، وجعلوا له حامية فيها، أما عبدالرحمن بن فيصل فقد ترك مدينة أجداده، وعاش في الكويت مع عائلته مدة تقارب عشر سنوات، وبذلك تكون نهاية الدولة السعودية الثانية[1].

لقد زار الرحالة «بلجريف» الرياض، فوصف بلاط الإمام فيصل ابن تركي وما يسوده، من ضعف في آخر أيامه، وسيادة ولده عبدالله خارج القصر، كما وصف سلطة الشيخ عبداللطيف حفيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب بأنها تأتي بعد سلطة الإمام فيصل مباشرة.

وجاء بعد «بلجريف» مفاوض آخر هو «بيلي» المقيم السياسي في بوشهر، والذي فاوض الإمام فيصل باسم الحكومة البريطانية، لكن الإمام فيصل كان حذراً في هذين اللقاءين، وكانت حدود الدولة السعودية الثانية في عهد الإمام فيصل حسب وصفه كالآتي:

---

(1) ناصر الرشيد، إسبر شاهين: الملك فهد ومسيرة الإنجازات الحضارية بالمملكة، (ط1، المعهد الدولي للتكنولوجيا، جوبان ميزوري، 1407هـ/ 1987م).

من الشمال: خط يمتد من جوف العامر إلى قرب الكويت، عند نهايتها الشرقية.

من الجنوب: تحد نجد بالربع الخالي، ومن وادي الدواسر من نهايته الغربية إلى نقطة غير معينة في الصحراء في اتجاه الخليج العربي.

من الشرق: تنحدر حدود نجد إلى الخليج العربي إلى الكويت في طرفها الشمالي، وينحني خط يمتد شرقاً من الشمال والجنوب بين الحجاز من جهة، ووادي الدواسر من جهة أخرى، بحيث يقع وادي الدواسر في نهاية الطرف الجنوبي للحدود، وهذه الجهات كان سكانها ورؤساؤها يخضعون فعلاً للإمام فيصل، ويدفعون له الزكاة.

وهناك جهات أخرى خضعت للإمام فيصل وكان يكتفي بمطالبتها بدفع الزكاة كرمز للولاء للدولة السعودية، وترك الحكم فيها لأمراء المدن وشيوخ القبائل، فأمير البحرين كان يدفع أربعة آلاف ريال، وسلطان مسقط كان يدفع ستة آلاف ريال، ورئيس ساحل عمان من رأس الخيمة إلى أبي ظبي كان يدفع اثنى عشر ألف ريال[1].

وهذا ما يؤكد ولاء تلك المناطق للدولة السعودية في طورها الثاني.

الخلاصة:

وخلاصة القول أن الدرعية كانت قبل ميثاق الدرعية بين الإمام محمد ابن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمها الله ـ قرية صغيرة، خافتة الصيت، لا يتجاوز عدد دورها السبعين، ولما أمّها الشيخ، واتخذ

(1) حافظ وهبه: المصدر السابق، ص238 ـ 240.

منها مركزاً للدعوة الإصلاحية التي دعا إليها، توسعت رقعتها، وعمها العمران، وازداد عدد سكانها وبدأت تظهر عليها دلائل الرخاء، وأصبحت مدينة عظيمة فعلاً ذاع اسمها، وأخذ الدعاة ينطلقون منها، وهي ترسل الرسل والكتب إلى الأقطار والمدن، تدعو الناس إلى الهداية والخضوع، فتوحدت الصفوف، وتجمعت البلدان، ونشأت بذلك وحدة من العارض ثم من نجد ثم توسع مدلول نجد فنشأت دولة نجد الكبرى، ومع مرور الزمان اتسع نطاق الدولة السعودية وأصبحت الدرعية عاصمة لتلك الدولة العربية الإسلامية صاحبة الدعوة الإصلاحية الدينية التي هدفها نهضة المسلمين وانقاذهم من الهوة العميقة التي وقعوا فيها، وإعادتهم إلى الأصول الصحيحة للدين الإسلامي، واتخذت الدرعية ـ كلمة التوحيد ـ شعاراً لها، وباتت مثلها العليا محاربة البدع، وعدم اتخاذ الأحبار والأنداد أرباباً من دون الله، وصار لتلك الدولة الفتية قوة وجيش، ومنعة وإدارة قادرة، ضامنةً لأهلها أمناً وسلاماً وعدلاً. وغدت مصدر خير وبركة لا لنجد وحدها، ولا للعرب وحدهم، بل للمسلمين عامة.

وقد حققت الدعوة التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب غايتها بمؤازرة الإمام محمد بن سعود لها، وأدركت سؤلها، وأنتجت أفضل النتائج[1].

وهذا فضل ومنّة من الله، وهو ما يجني ثمارها الطيبة سكان هذه المملكة، ومن وصلته هذه الدعوة خارجها.

---

(1) حسين خلف الشيخ خزعل: تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب، (بيروت، مطابع دار الكتب)، ص340 ـ 341.

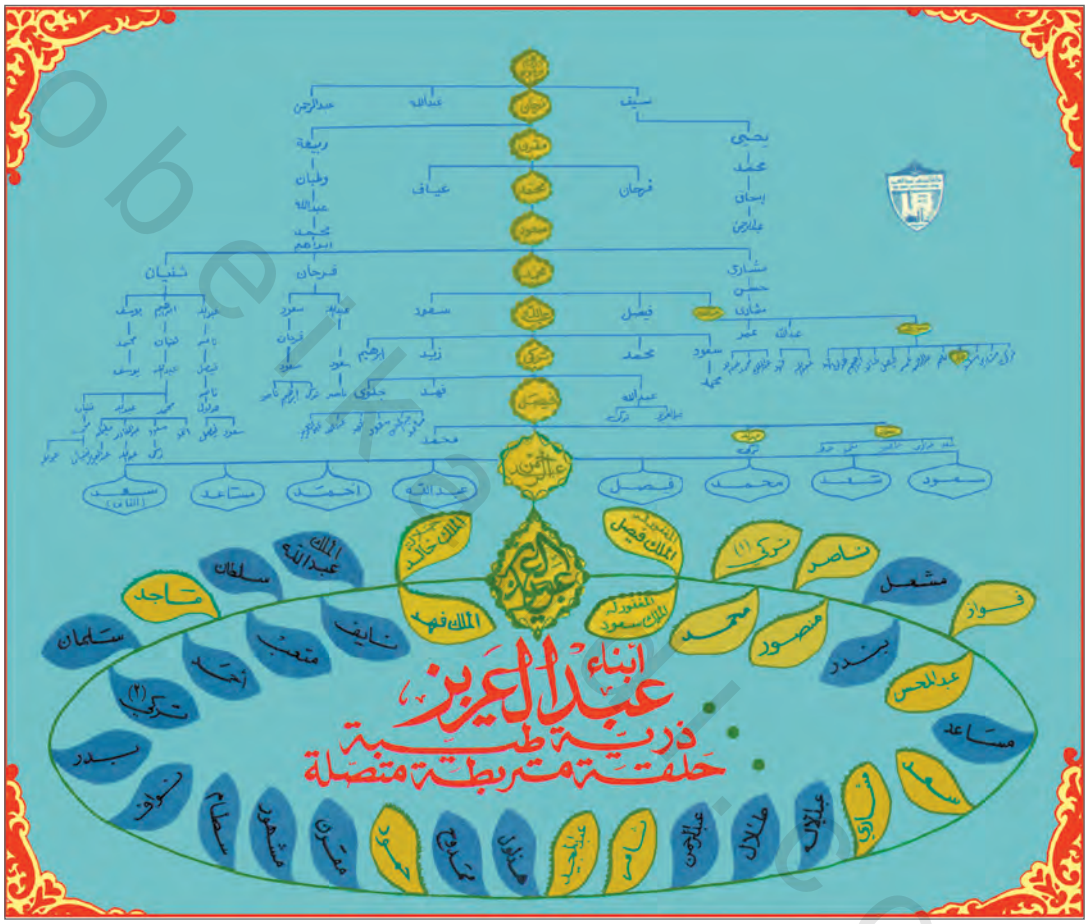

شجرة نسب ملوك آل سعود الأحياء باللون الظاهر والمتوفون إلى رحمة الله باللون الأقل ظهوراً[1]

(1) خريطة الدولة السعودية، من كتاب مثير الوجد من أنساب ملوك نجد، تأليف راشد بن علي الحنبلي.